مختصر من دروس

الفصول من سيرة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(٤-٥)

الشيخة أم عبدالله حفظها الله

بنت الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله

https://omabdullahalwadeai.com

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٤) مقتطف من دروس الفصول في سيرة الرسول

النسب النبوي على عدنان:

لا خلاف بين العلماء في نسب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى الجد العشرين عدنان، لكن ما بعد عدنان حصل فيه خلاف.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «زاد المعاد»(١/ ٧٠): إِلَى هَاهُنَا مَعْلُومُ الصِّحَّةِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ النَّسَّابِينَ، وَلَا خِلَافَ فِيهِ الْبَتَّةَ، وَمَا فَوْقَ (عدنان) مُخْتَلَفٌ فِيهِ. اهـ.

وهذا الخلاف من حيث العدد، ومن حيث الأسماء، فلا ينبغي الانتساب إلى ما فوق عدنان؛ لأن هذا مختلف فيه، وليس هناك دليل، فيكون الخوض والجزم فيه من التكلف.

لكنهم وإن اختلفوا فيما فوق عدنان، إلا أنهم متفقون في عدنان أنه من سُلالة إسماعيل نبي الله.

وهذه فائدة أن عدنان من ولد نبي الله إسماعيل عليه السلام بلا خلاف.

قال ابن القيم في «زاد المعاد»(١/ ٧٠): وَلَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ أَنَّ (عدنان) مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

تعريف التواتر:

التواتر لغة: التتابع.

والتواتر عند أهل العلم: هو نقل جماعةٍ عن جماعة، يستحيل في العادةِ تواطؤهم على الكذب، ويستندون إلى شيء محسوس.

الحواس خمس: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس.

والمقصود بـ(ويستندون إلى شيء محسوس) أي: إلى السمع، والبصر، ما يكون مثل ما عند النصارى تناقل بعضهم عن بعض: أن الله ثالث ثلاثة، تعالى الله عز وجل عن ذلك علوًّا كبيرًا، وهذا التناقل مبني على التفكير وحديث النفس، فلم يستندوا فيه إلى شيء محسوس، فلا يقال: إنه حق، وقد كذَّبهم الله عز وجل وكفَّرهم فقال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

من هو الذبيح؟

هو نبي الله إسماعيل عليه السلام على الصَّحيح، وهذا قول أكثر العلماء. وهناك قول آخر: أنه إسحاق عليه السلام.

وقد سُئل شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى»(٤/ ٣٣١) عَنْ «الذَّبِيحِ» مِنْ وَلَدِ خَلِيلِ اللَّهِ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَلْ هُوَ: إسْمَاعِيلُ أَوْ إسْحَاقُ؟

وكان مما أفاد أن النِّزَاعَ فِيهَا مَشْهُورٌ، لَكِنَّ الَّذِي يَجِبُ الْقَطْعُ بِهِ أَنَّهُ إسْمَاعِيلُ، وَهَذَا الَّذِي عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالدَّلَائِلُ الْمَشْهُورَةُ، وَهُوَ الَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ التَّوْرَاةُ الَّتِي بِأَيْدِي أَهْلِ الْكِتَابِ. وعزا هذا القول شيخ الإسلام إلى أكثر العلماء في كتابه «الرد على المنطقيين» (٥١٧).

وجزم رحمه الله في «مجموع الفتاوى» أن القول بأنه إسحاق أَصْلهُ مِنْ تَحْرِيفِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَتَلَقَّى ذَلِكَ عَنْهُمْ مَنْ تَلَقَّاهُ، وَشَاعَ عِنْدَ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ إسْحَاقُ.

❋بعض الأدلة في إثبات كون إسماعيل الذبيح:

١-قال تَعَالَى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ

مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (١١٣)﴾[الصافات].

وبيَّن شيخ الإسلام رَحِمَهُ الله الشاهد من الآيات أَنَّهُ بَشَّرَهُ بِالذَّبِيحِ وَذَكَرَ قِصَّتَهُ أَوَّلًا، فَلَمَّا اسْتَوْفَى ذَلِكَ قَالَ: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾ [الصافات:١١٢-١١٣]، فَبَيَّنَ أَنَّهُمَا بِشَارَتَانِ: بِشَارَةٌ بِالذَّبِيحِ وَبِشَارَةٌ ثَانِيَةٌ بِإِسْحَاقِ وَهَذَا بَيِّنٌ.

قال: ثُمَّ لَمَّا ذَكَرَ الْبِشَارَتَيْنِ جَمِيعًا: الْبِشَارَةُ بِالذَّبِيحِ وَالْبِشَارَةُ بِإِسْحَاقِ بَعْده كَانَ هَذَا مِنْ الْأَدِلَّةِ عَلَى أَنَّ إِسْحَاقَ لَيْسَ هُوَ الذَّبِيحَ.

٢-أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ قِصَّةَ الذَّبِيحِ فِي الْقُرْآنِ إلَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَفِي سَائِرِ الْمَوَاضِعِ يَذْكُرُ الْبِشَارَةَ بِإِسْحَاقِ خَاصَّةً كَمَا فِي سُورَةِ هُودٍ مِنْ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود:٧١]، فَلَوْ كَانَ الذَّبِيحُ إِسْحَاقَ لَكَانَ خُلْفًا لِلْوَعْدِ فِي يَعْقُوبَ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «زاد المعاد»(١/ ٧١): فمُحَالٌ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِأَنَّهُ يَكُونُ لَهَا وَلَدٌ ثُمَّ يَأْمُرَ بِذَبْحِهِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ يَعْقُوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَاخِلٌ فِي الْبِشَارَةِ، فَتَنَاوُلُ الْبِشَارَةِ لِإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي اللَّفْظِ وَاحِدٌ، وَهَذَا ظَاهِرُ الْكَلَامِ وَسِيَاقُهُ. اهـ.

٣-إسماعيل وأمه هاجر هُمَا اللَّذَانِ كَانَا بِمَكَّةَ دُونَ إِسْحَاقَ وَأُمِّهِ، فإسحاق وأمه كانا بالشام.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: وَلَمْ يَنْقُلْ أَحَدٌ أَنَّ إِسْحَاقَ ذَهَبَ إِلَى مَكَّةَ لَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا غَيْرِهِمْ.

قال ابن القيم في «زاد المعاد»(١/ ٧٣): وَأَيْضًا فَلَا رَيْبَ أَنَّ الذَّبِيحَ كَانَ بِمَكَّةَ؛ وَلِذَلِكَ جُعِلَتِ الْقَرَابِينُ يَوْمَ النَّحْرِ بِهَا، كَمَا جُعِلَ السَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَرَمْيُ الْجِمَارِ تَذْكِيرًا لِشَأْنِ إِسْمَاعِيلَ وَأُمِّهِ، وَإِقَامَةً لِذِكْرِ اللَّهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ إِسْمَاعِيلَ وَأُمَّهُ هُمَا اللَّذَانِ كَانَا بِمَكَّةَ دُونَ إِسْحَاقَ وَأُمِّهِ؛ وَلِهَذَا اتَّصَلَ مَكَانُ الذَّبْحِ وَزَمَانُهُ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ، الَّذِي اشْتَرَكَ فِي بِنَائِهِ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ، وَكَانَ النَّحْرُ بِمَكَّةَ مِنْ تَمَامِ حَجِّ الْبَيْتِ، الَّذِي كَانَ عَلَى يَدِ إِبْرَاهِيمَ وَابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ زَمَانًا وَمَكَانًا، وَلَوْ كَانَ الذَّبْحُ بِالشَّامِ كَمَا يَزْعُمُ أَهْلُ الْكِتَابِ وَمَنْ تَلَقَّى عَنْهُمْ لَكَانَتِ الْقَرَابِينُ وَالنَّحْرُ بِالشَّامِ لَا بِمَكَّةَ.

ما اسم أبي إبراهيم الخليل؟

اسم أبيه آزر، فهو إبراهيم بن آزر كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾[الأنعام: ٧٤]، الآية نص في المسألة أنه آزر.

ومن قال: آزر عم إبراهيم عليه السلام أو غير ذلك فقد خالف ظاهر الدليل، بلا مستندٍ ولا دليل.

هل ثبت أن إدريس عليه الصلاة والسلام أول من خط بالقلم؟

هذا جاء في حديث ضعيف لا يثبت، رواه الحكيم الترمذي في كتابه «نوادر الأُصول»، وضعَّفه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في «ضعيف الجامع» (٢١٢٧).

والحكيم الترمذي استفدنا من والدي الشيخ مقبل رحمه الله تعالى: أنه صوفي لا يعتمد عليه.

قول بعضهم: هناك بعض الأنبياء بين نوح وآدم:

هذا قول باطل يرده صريح الأدلة، فليس هناك نبي بين نبي الله آدم وبين نبي الله نوح، النبي الثاني بعد آدم نوح عليه السلام، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣].

وقد نبَّه على ذلك الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في «شرح الأربعين النووية» (٤٥)، وقال: واعلم بأنك ستجد في بعض كتب التاريخ أن إدريس عليه الصلاة والسلام كان قبل نوح عليه السلام، وأن هناك بعضًا آخرين مثل شيث، كل هذا كذبٌ وليس بصحيح.

فإدريس بعد نوح قطعًا، وقد قال بعض العلماء: إن إدريس من الرسل في بني إسرائيل؛ لأنه دائمًا يذكر في سياق قصصهم، لكن نعلم علم اليقين أنه ليس قبل نوح، والدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣] [النساء: الآية١٦٣]، وقال الله عزّ وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد: ٢٦]، فأرسلهم الله وهم القمة، وجعل في ذريتهما النبوة والكتاب، فمن زعم أن إدريس قبل نوح فقد كذب القرآن، وعليه أن يتوب إلى الله من هذا الاعتقاد. اهـ.

أسماء الأنبياء عربية او عجمية؟

يذكر النحويون كابن هشام رَحِمَهُ الله في «شرح قطر الندى» (٣١٣): أن جَمِيعَ أَسمَاء الْأَنْبِيَاء أَعْجَمِيَّة إِلَّا أَرْبَعَة: مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَالح، وَشُعَيْب، وَهود صلوَات الله وَسَلَامه عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ.

وقد نظم بعضهم أسماء الملائكة والأنبياء العربية، فقال: هود شعيب صالح محمد... أوضاعها في العجم ليست توجد رضوان مالك نكير منكر... أمثالها في الحكم ما قد ذَكروا

من علم الأنساب:

قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٥٧/٢): قَالَ عُلَمَاءُ النَّسَبِ: يُقَالَ: شُعُوبٌ، ثُمَّ قَبَائِلُ، ثُمَّ عَمَائِرُ، ثُمَّ بُطُونٌ، ثُمَّ أَفْخَاذٌ، ثُمَّ فَصَائِلُ، ثُمَّ عَشَائِرُ، وَالْعَشِيرَةُ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَى الرَّجُلِ وَلَيْسَ بَعْدَهَا شَيْءٌ.

قوله تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣] (إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) فيه قولان للمفسرين:

القول الأول: قول سعيد بن جبير وبعضهم، أنها قُرْبَى آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فيكون الآية فيها فضل قرابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحث على مودتهم، واحترامهم.

القول الثاني: قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن الخطاب لقريش، المراد أن تَوَدُّوني؛ لقرابتي منكم.

فقد سُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]؟ فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: قُرْبَى آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَجِلْتَ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ، إِلَّا كَانَ لَهُ فِيهِمْ قَرَابَةٌ، فَقَالَ: «إِلَّا أَنْ تَصِلُوا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ القَرَابَةِ». أخرجه البخاري (٤٨١٨)

(٥)مقتطف من دروس الفصول في سيرة الرسول

من أكرم الخلق على الإطلاق؟

نُقِلَ الإجماعُ أهل العلم على أن أكرمَ الخلق هو نبينا محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على الإطلاق؛ لأنَّ الله عز وجل فضَّله بفضائل لم يمنحها أحدًا من خلقه: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [الحج: ٧٥].

قال النووي رحمه الله في شرح الحديث الذي رواه مسلم(٢٢٧٨) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»: هَذَا الْحَدِيثُ دَلِيلٌ لِتَفْضِيلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْخَلْقِ كُلِّهِمْ؛ لِأَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الْآدَمِيِّينَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ الْآدَمِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ.

وقال شيخ الإسلام في «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» فقرة(٩): اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمُ الْخَلْقِ جَاهًا عِنْدَ اللَّهِ، لَا جَاهَ لِمَخْلُوقٍ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ جَاهِهِ، وَلَا شَفَاعَةَ أَعْظَمُ مِنْ شَفَاعَتِهِ.

وكذلك نسبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أفضل الأنساب كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، ثُمَّ اخْتَارَنِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

ما المراد بالخيرية المذكورة في حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله اختار كنانة من ولد إسماعيل، ثم اختار من كنانة قريشا، ثم اختار من قريش بني هاشم، ثم اختارني من بني هاشم»، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا، حتى كنت من القرن الذي كنت فيه»؟

قال القاري في «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٣٦٧١): اعْلَمْ أَنَّ مَعْنَى الْخَيْرِيَّةِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَالِاصْطِفَائِيَّةِ فِي الَّذِي يَلِيهِ الْمَذْكُورَتَيْنِ فِي حَقِّ الْقَبَائِلِ، لَيْسَ بِاعْتِبَارِ الدِّيَانَةِ، بَلْ بِاعْتِبَارِ الْخَصَائِلِ الْحَمِيدَةِ، وَالشَّمَائِلِ السَّعِيدَةِ.

ما الحكمة من كون الرسل تبعث في أنسابها؟

ذكر النووي رحمه الله في «شرح صحيح مسلم» في قصة هرقل أمرين في السبب في شرف أنساب الأنبياء، فقال: قِيلَ: الْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ أَبْعَدُ مِنَ انْتِحَالِهِ الْبَاطِلَ، وَأَقْرَبُ إِلَى انْقِيَادِ النَّاسِ لَهُ. اهـ.

ومن الحكم أيضًا: لأنه يحافظ على سمعته ولا يُدنِّسُها، هذا شأن صاحب الشرف الرفيع الذي لم يتلوث، أنه يحافظ على سمعته من أن يقال عنه: هو غاش، خائن، هو كذاب إلى غير ذلك، والمحافظة على العرض مطلوب، وما أحسن ما قيل:

إذا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنس مِنَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ... فَكُلُّ رِداءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ

فَإِنْ هُوَ لَمْ يَنْزِعْ مِنَ اللُّؤْمِ نَفْسَهُ... فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ

بنو إسرائيل:

لا يوجد نبي من بعد إبراهيم عليه السلام إلا من نسله، كما في الآية ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: هَذِهِ خِلْعَةٌ-أي: جودة-سَنِيَّةٌ عَظِيمَةٌ مَعَ اتِّخَاذِ اللَّهِ إِيَّاهُ خَلِيلًا، وَجَعْلِهِ لِلنَّاسِ إِمَامًا أَنْ جَعَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ، فَلَمْ يُوجَدْ نَبِيٌّ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا وَهُوَ مِنْ سُلَالَتِهِ، فَجَمِيعُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ سُلَالَةِ

يَعْقُوبَ بْنِ إسحاق بن إِبْرَاهِيمَ، حَتَّى كَانَ آخِرُهُمْ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ، فَقَامَ فِي مَلَئِهِمْ مُبَشِّرًا بِالنَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ، خَاتَمِ الرُّسُلِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ مِنْ صَمِيمِ الْعَرَبِ الْعَرْبَاءِ مِنْ سُلَالَةِ إِسْمَاعِيلَ بن إبراهيم عليهما السَّلَامُ، وَلَمْ يُوجَدْ نَبِيٌّ مِنْ سُلَالَةِ إِسْمَاعِيلَ سواه، عليه أفضل الصلاة والسلام. اهـ.

العرب على قسمين:

بائدة، و(البائدة هم الذين بادوا ودرست آثارهم كعاد وثمود وطسم وجديس وجرهم الأولى، ويلحق بهم مدين فانهم ممن ورد القرآن بهلاكهم) «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» (١٢).

فالعرب البائدة: هي التي هلكت وانقرضت قبل الإسلام، بعضها بعذاب وعقوبة من عند الله كعاد وثمود وقوم صالح، فهؤلاء العرب البائدة، وقد انقرضوا وانتهوا، ولم يبقَ لهم نسل.

والعرب الباقية، وهم العرب (غير البائدة وهم الباقون في القرون المتأخرة بعد ذلك، كجرهم الثانية وسبأ وبني عدنان، ثم منهم من باد بعد ذلك كجرهم، ومن تأخر منهم إلى زماننا كبقايا سبأ وبني عدنان) «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» (١٢).

إنزال الله كتابه:

قال الله تعالى: {وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ}[سبأ:٤٤]. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في «تفسيره»: أي: ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن، وما أرسل إليهم نبيًّا قبل محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال الله تعالى: {لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [القصص:٤٦]، وقال الله تعالى: {لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} [السجدة:٣].

والمراد بكونه لم يُرسل نبي من العرب بعد إسماعيل سوى نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي: العرب الباقية، وهي التي ينتسب إليها العرب: القحطانية والعدنانية.

فائدة:

من الأنبياء الذين هم عرب:

هود: أرسل إلى عاد.

صالح: أرسل إلى ثمود

شعيب: أرسل إلى مدين.

إسماعيل: بعث في مكة.

محمد صلى الله عليه وسلم، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين.

تنبيه:

الأحاديث الإسرائيلية على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه. اهـ المراد. ذكر هذا شيخ الإسلام في «مقدمة في أصول التفسير» (٤٢)

المقام المحمود

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «سَأَقُومُ مَقَامًا يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّى إِبْرَاهِيمَ» رواه الإمام مسلم (٨٢٠) عن أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن الجوزي في «كشف المشكل» (٢/ ٧٠): وَهَذَا لِأَن النَّاس إِذا خَرجُوا من الْقُبُور أَقَامُوا مُدَّة لَا يفصل بَينهم، فيستشفعون بِآدَم، ثمَّ بِنوح، ثمَّ بإبراهيم، ثمَّ بمُوسَى، ثمَّ بِعِيسَى؛ ليراحوا بِالْفَصْلِ بَينهم، فَلَا يتَقَدَّم أحد فِي تِلْكَ الشَّفَاعَة على نَبينَا صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، فَإِذا لم يَقع الْفَصْل إِلَّا بِشَفَاعَتِهِ فقد احْتَاجَ الْأَنْبِيَاء أَيْضا إِلَيْهِ. اهـ.

والمقام المحمود: هو الذي يحمده عليه جميع الخلائق الأولون والآخرون، وهو المقام الَّذي وعده الله تعالى في قوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]

والمقام المحمود هو الشفاعة العظمى كما جاء تفسيره عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد ثبت من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الشَّفَاعَةُ» رواه الإمام أحمد (١٦/ ١٥٥)، والحديث في كتاب «الشفاعة» لوالدي رحمه الله.

وهذه الشفاعة لا ينكرها أحد من الأمة الإسلامية؛ لأنها لفصل القضاء، ليست في خروج الموحدين من النار، أو في الشفاعة لهم في عدم دخول النار، إنما هي لفصل القضاء بين الخلق.

أم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمنة:

أم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ، يلتقي نسبها مع النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الجد الخامس (كلاب بن مرة)، وما بعد هذا تلتقي مع النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك عدد من الصحابة يلتقي أنسابهم مع النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.